

أضواء البيان

@ 27 @ .

ومفهومه : أن من لم يؤثر الحياة الدنيا ، ولم يحسب أن ماله أخذه ، لن يطغيه ماله ولا غناه ، كما جاء في قصة النفر الثلاثة الأعمى والأبرص والأقرع من بني إسرائيل . .
وقد نص القرآن على أوسع غنى في الدنيا في نبي ﷺ سليمان ، آتاه ﷻ ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، ومع هذا قال : { إِنْ زَيْتِي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنِ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّهُمَا عَلَيَّ } . . .

وقصة الصحابي الموجودة في الموطأ : لما شغل ببستانه في الصلاة ، حين رأى الطائر لا يجد فرجة من الأغصان ، ينفذ منه ، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : (يا رسول الله : إني فتنت ببستاني في صلاتي ، فهو في سبيل الله) فعرفنا أن الغنى وحده ليس موجباً للطغيان ، ولكن إذا صحبه إيثار الحياة الدنيا على الآخرة ، وقد يكون طغيان النفس من لوازمها لو لم يكن غنى . إن النفس لأماره بالسوء . وأنه لا يقي منه إلا التهذيب بالدين كما قال تعالى : { وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ } . . .

وقد ذكر عن فرعون تحقيق ذلك حين قال : { أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ وَهَٰذَا نَهَارٌ نَّهَارٌ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَوَّلَٰ تَبِصْرُونَ } ، وكذلك قال قارون { إِنْ زُمَّتْ أُوْتِيَتْهُ عَلَيَّ عِلْمٌ عِنْدِي } ، وقال : ثالث الثلاثة من بني إسرائيل (إنما ورثته كابراً عن كابر بخلاف المسلم) إلى آخره . فلا يزيده غناه إلا تواضعاً وشكراً للنعمة ، كما قال نبي ﷺ سليمان { قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَءَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنِّي أَزِيدُهُ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ } ، وقد نص في نفس السورة أنه شكر ﷻ { فَتَبَسَّسَ مَّضْحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْزَعْتَ عَلَيَّ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } . . .

وفي العموم قوله : { حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْزَعْتَ عَلَيَّ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي } . . .

وقد كان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحاب المال الوفير فلم يزددهم
إلا قرباً لله ، كعثمان بن عفان رضي الله عنه ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأمثالهم ، وفي
الآية